معلمة ببياض وحمرة او باسم من يرمى به قوله عند ربك اى فى خزاينه التى لا يتصرف فيها غيره او فى
حكمه وهو ظرف لمسومة وقيل صفة لها وما هى يعنى تلك الحجارة من الظالمين يعنى من
مشركى مكة وعن مجاهد يرهب بها قريشا ان يصيبهم ما اصاب القوم وعن السدى يعنى
من ظلمة العرب ان لم يومنوا فيعذبوا بها قال قتادة وعكرمة يعنى ظالمى هذه الامة والله ما اجار
منها ظالما بعد واخرج ابن ابى حاتم وابو الشيخ عن الربيع قال كل ظالم فيما سمعنا قد جعل بحذايه حجر
ينتظر متى يومر ان يقع به فخوف الظلمة فقال وما هى من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر
عليهم وفى الاية وعيد لكل ظالم فان التعريف للجنس يعم جميع الظالمين لكن سوق الكلام فى حق
قوم لوط فدخلوا فيه دخولا اوليا وفى الدر المنثور واخرج ابن ابى الدنيا فى ذم الملاهى وابن المنذر
والبيهقى فى شعب الايمان عن محمد بن المنكدر ويزيد بن خصيفة وصفوان بن سليم ان خالد بن
الوليد كتب الى ابى بكر الصديق انه وجد رجلا فى بعض نواحى العرب ينكح كما تنكح المراة وقامت عليه بذلك
البينة فاستشار ابو بكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه
ان هذا ذنب لم يعص الله به امة من الامم الا امة واحدة فصنع الله بها ما قد علمتم ارى ان
تحرقه بالنار فاجتمع اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على ان يحرقوه بالنار فكتب ابو بكر الى خالد ان احرقه
بالنار ثم حرقهم ابن الزبير فى امارته ثم حرقهم ابن عبد الملك واخرج ابن المنذر عن ربيعة بن ابى
عبد الرحمن قال عذب الله قوم لوط فرماهم بحجارة من سجيل فلا يرفع تلك العقوبة عن عمل عمل قوم
لوط قوله تعالى والى مدين هو اسم ابن لابراهيم عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة التى هى
اولاده او اسم مدينة بناها مدين ابن ابراهيم فسميت باسمه والمعنى وارسلنا الى اولاد مدين او
الى اهل مدين اخاهم اى واحدا منهم شعيبا عطف بيان لاخاهم وفى المدارك وارسلنا شعيبا
الى ساكنى مدين او الى بنى مدين قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
يعنى وحدوا الله ولا تعبدوا مع غيره وهذا كان عادة الانبياء عليهم السلام يبدأون بالاهم
فالاهم ولما كانت الدعوة الى توحيد الله وعبادته اهم الاشياء فلهذا قال شعيب عليه السلام
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرع فيما هم فيه ولما كان المعتاد من
اهل مدين البخس فى الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهى تطفيف الكيل والوزن
فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان والنقص فى الكيل والوزن على وجهين احدهما
ان يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الاخر وهو
استيفاء الكيل والوزن لانفسهم زايدا عن حقهم فيكون نقصا فى مال الغير وكلا الوجهين
مذموم فلهذا نهاهم شعيب عليه السلام عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان
قال الاستاد معناه ولا تنقصوا الكيل الناس من المكيال والميزان يعنى ما يكال ويوزن
على طريق ذكر المحل وارادة الحال انى اراكم بخير اى موسرين فى نعمة تغنيكم عن
البخس وقال مجاهد كانوا فى خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحلول
النقمة ان لم يتوبوا ويومنوا وهو فى الجملة علة للنهى ثم عقبت بعلة اخرى وهى قوله وانى اخاف
عليكم

عليكم عذاب يوم محيط اى يحيط بكم فيهلككم وهو عذاب الاستيصال فى الدنيا او من
عذاب الاخرة ومنه قوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين وفى الجامع معناه لا يشذ منه احد منكم
احاطة العذاب بهم كاحاطة الدايرة بما فيها وتوصيف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب
لاشتمال اليوم على ما وقع فيه من العذاب فهو من المجاز العقلى نحو نهاره صايم وقيل معناه عذاب
يوم مهلك من قوله واحيط بثمره قلت حاصله ولما كانت اليوم مشتملا على الحوادث فاحاطته
يستلزم احاطة تلك الحوادث واخرج ابن جرير وابو الشيخ عن ابن عباس فى قوله انى اراكم
بخير قال رخص السعر وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط قال غلاء السعر وقيل معنى اخاف
اى اعلم قوله تعالى ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اى اتموهما بالعدل والتسوية
من غير زيادة ولا نقصان وذلك بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال فان الازدياد ايفاء فهو
مندوب غير مامور به وقد يكون ممنوعا كما فى الربوا اعاد الامر بالايفاء والاتمام بعد تقديم النهى
عن ضده وهو النقص دليلا على تاكيد وجوبه وهو كقولك صل قرابتك ولا تقطعها فيكون
الجمع بين الامر به والنهى عن ضده دليلا عليه وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل
يلزمهم السعى فى الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى الايفاء دونها فيجب الزيادة حينئذ لان ما لا يتم
الواجب الا به فهو واجب ولا تبخسوا الناس اى ولا تنقصوا الناس اشياءهم يعنى اموالهم
ولما خصص النهى عن التنقيص ثم امر بايفاء الحق فى الكيل والوزن عمم الحكم فى جميع الاشياء التى
يجب ايفاء الحقوق فيها بقوله ولا تبخسوا الناس اى فى قليل اموالهم وكثيرهم فيدخل فيه الكيل والوزن
والذرع وغير ذلك فعلى ما ذكرنا يعنى من قولنا ولما خصص الى اخره لا تكرار بين قوله ولا تنقصوا
المكيال وبين قوله واوفوا المكيال وبين قوله ولا تبخسوا الناس لان الاول نهى عن النقص والثانى امر
بالايفاء والثالث يعم جميع الاشيا بل ظهر هذا البيان الذى فى صورة التكرار فايدة وهى المبالغة
فى منعهم وزجرهم عما كانوا مصرين عليه من التطفيف فى الكيل والوزن ومنع حقوق الناس والبخس
فى جميع الاشياء ولا تعثوا فى الارض مفسدين اى لا تفسدوا ولا تسعوا فى الارض
بشدة الفساد العثى من عثى بكسر الثاء معناه اشد الفساد قيل نحو السرقة والغارة وقطع الطريق
والقتل وفى الغاية العثى الافساد وفايدة تقييده بالحال يعنى بمفسدين اخراج ما يقصد به الاصلاح
كاتلاف اموال اهل الحرب وهذا اعم من ولا تبخسوا لتناوله الجنس وغيره كما ان البخس اعم من الاول
لتناوله المقدار وغيره وفى الاسرار معناه لا تسعوا فيها بشدة الفساد فان العثى يعم تنقيص الحقوق
وغيره من انواع الفساد فهو ايضا من قبيل التعميم بعد التخصيص وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشر
من المعاملات وبالعثى السرقة وقطع الطريق والغارة وفايدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما
فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وجعل التبخيس افسادا فى الارض لانه تبديل
لحكم الله تعالى فانه تعالى اصلح الارض بالمعاملات التى اذا عملوا بها اعتدلت احوالهم فمن غيرها فقد
افسد وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم قوله تعالى بقيت الله
خير لكم يعنى ما ابقى الله لكم من الرزق الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن واتمامهما بل بعد التنزه عن

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)